الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلـيــة: الآداب واللغات **قسم:** اللغة والأدب العربي

تجليات الحزن في الشعر العربي بين القديم والحديث

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي.

إعداد الطالبات:

رندة منصوري

سميحة لخذاري

منال دقعة

هيام دقعة

إشراف الأستاذ:

ياسين صلاح

السنة الجامعية: 1434-1435هـ/2013-2014م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلـيــة: الآداب واللغات **قسم:** اللغة والأدب العربي

تجليات الحزن في الشعر العربي بين القديم والحديث

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي.

إعداد الطالبات:

رندة منصوري

سميحة لخذاري

منال دقعة

هيام دقعة

إشراف الأستاذ:

ياسين صلاح

السنة الجامعية: 1434-1435هـ/2013-2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول المنفلوطي في عبراته:

"الأشقياء في الدنيا كثير، وليس

في استطاعة بائس مثلي أن

يمحو كثيراً من بؤسهم وشقائهم،

فلا أقل من أن أسكب بين

أيديهم هذه العَبَرات لعلهم

يجدون فيها تعزية وسلوى"

إهـــــداء

الى من طلب العلم مهتديا بقول الرسول الكريم عليه اصدق الصلاة و افضل التسليم :" من اراد الآخرة فعليه بالعلم ، و من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، و من ارادهما معا فعليه بالعلم ".

الى نبع الحنان و المحبة امي العزيزة .

الى رمز العطف و العطاء ابي الغالي.

الى من ينقد هذا العمل ليجعله سببا لإنارة درب الطلبة و يجعله خدمة للبحث العلمي.

الشكر و العرفان

الشكر...واجب

يشرفنا و يسعدنا ان ندون في هذه الصفحة أخلص العبارات و اصدق الكلمات شكرا و عرفانا للذي كان له الفضل في اقتراح هذا العنوان و جعله يتحول من مجرد فكرة الى مذكرة حتى اصبحت وليدة ترى النور زيادة على رعايته للموضوع بالنصائح القيمة، و التوجيهات السديدة خدمة للبحث العلمي و الرقي به استاذنا المشرف الاستاذ "ياسين صلاح "

كما نتوجه بالشكر الجزيل و الاحترام الكبير لأسرة مكتبة الآداب و اللغات كلية الذين لم يبخلوا علينا بخدماتهم الجليلة خاصة للتي لا اللغة تجزيها و لا العبارات توفي جميلها لوقوفها معنا و صبرها "فاطمة نيد "

شكرت جميل صنعكم بدمعي

ودمع العين مقياس الشعور

لأول مرة قد ذاق جفني

على ما ذاقه دمع السرور

حافظ إبراهيم

مقدمة

المعروف أنّ الشعر هو فيضان من شعور قوي ينبع من عواطف تجمعت في هدوء. سئلت الشاعرة نازك الملائكة عن الشعر؟ فقالت: "الشِعر غلام أشقر الشَعر أزرق العينين رائع الجمال، وصِفة الشعر التّي تهمّنا في كونه حسّاسًا محبا، تسحره المشاعر الإنسانية ويبكي مع المعذّبين ويموت جوعاً مع الجِياع"، كلّ هذه المشاعر ما هي إلاّ تصوير لظاهرة طالما شغلت النقّاد وهي ظاهرة الحزن ـ فما هو مفهوم الحزن، وما هي أبرز أسبابه ومظاهره؟ ما هي أبرز الاختلافات الجوهرية في هذه الظاهرة قديما وحديثاً، وإلى أي مدى يرتقي الحزن بالشعر جمالياً؟ وهل الحزن ظاهرة صحية في الشعر، هذه التساؤلات أردنا تناولها في موضوع اخترنا له عنوان: "تجليات ظاهرة الحزن في الشعر العربي بين القديم والحديث"، وكان اختيارنا لهذا الموضوع جملة من الأسباب والدوافع من أبرزها:

- كان فكرة الأستاذ المشرف.
- ما يحتويه هذا الموضوع من الإثارة والمتعة.
- ما الذي نحاول إثباته حين نناقش الشعر بالمعاني والأفكار.
- الأبيات حين نختارها لا نختارها اعتباطا أو مجانًا بل لأنها تبوح دون أن تتكلم.

وبناءً على ما سبق أجبنا على الأسئلة وفق منهجية معينّة: فبعد المقدمة قسّمنا بحثنا إلى الفصل الأول: وخصّصناه "لتعريف ظاهرة الحزن و تجلياته في الشعر العربي القديم" الذي لاحظنا في بحثنا أنه قد كرّس مئات النصوص الشعرية للحزن، فتجلّت فيه بدءًا من المقدمة الطللية إلى رثاء المدن الأندلسية وحزنه الذي كان نتيجة لتجربة فقدِ الاستقرار و حتّى لا تتحول هذه الدراسة إلى بحث مضاعف يكرر ما سبقه من دراسات، في إشكالية الحزن، ركّزنا على تجلياته و شرحنا بشيء من

العمق في الدوافع و البواعث. أمّا الفصل الثاني "تجليات الحزن في الشعر العربي الحديث" فكان التركيز الكبير عليه حيث تطرّقنا فيه إلى الاتجاهات التي تبنّت الحزن ودوافعه ومظاهره ذلك بدعوى أنّ الحزن في الشعر المعاصر قد تطور بتأثير غربي، كما أنّه يظهر انفصال تام في تجلّياته عن الشعر القديم (أي لا توجد سمات مستحدثة و إعادة بعث للشعر القديم بما يساير روح العصر. متبعًا بخاتمة و هي عبارة عن حوصلة لأهم النتائج التي ـ نزعم ـ توصل إليها البحث.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التكاملي لأنّه يعطي الباحث حدود أوسع للولوج إلى النصوص بما يناسبها، خاصة إذا علمنا أنّ هذه النصوص قد ارتبطت بعِدّة شعراء و بمراحل حياتهم الواقعية و النفسية و ما اتصل بها من ظروف عائلية متقلبة وظروف سياسية حملوا عبئها و واكبوا تفصيلاتها. وللإلمام بجوانب البحث اعتمدنا على جملة من المراجع تختلف من ناحية الأهمية كلٌ حسب صلتها بالموضوع و الأفكار التي تطرحها أهمّها: لغة الشعر العربي الحديث، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث والشعر العربي المعاصر. وإذا تحدّثنا عن صعوبات أي بحث فإنّنا لا نخرج عن إطار تلك العراقيل الروتينية التي تواجه أي صاحب بحث و من بينها تشتت المادة في المكتبات، الكتب والمجلاّت والذي يعتبر صعوبات حقًا التي تواجه البحث هي قلة المادة المراد بها تغطية جزء كبير من البحث من جهة قلة المصادر والمراجع حتّى وإن وجدت فإننا نجدها تتناول الموضوع بنوع من السطحية. إضافة إلى ذلك، طبيعة الموضوع في حدّ ذاته، فهو لم يتناول بإسهاب في أي جهة كانت إلاّ ما ورد في بعض الكتب والمجلاّت ولا يفوتنا القول أنّ الموضوع ما زال محلّ نقاش، وهذا ما نطالب المعاصرين من النقّاد نقاشه.

ورغم الصعوبات فلا يسعنا إلاّ أن نتمنّى أن يكون هذا البحث قد أزال اللبس عن بعض الأمور وفتح المجال أمام الباحثين للخوض في مثل هذه المواضيع.

و في الأخير لا يسعنا إلاّ شكر الأُستاذ الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة والدقيقة المتعلّقة بالموضوع كما لا ننسى شكر عمّال مكتبة كلية الأدب و اللغات على ما لقيناه منهم من رحابة صدر ومساعدة.

الفصل الأول: تجليات الحزن في الشعر العربي القديم

أولاً: تعريف ظاهرة الحزن لغةً واصطلاحاً

ثانياً: أسباب ودوافع الحزن في الشعر العربي القديم

ثالثاً: مظاهر وأشكال الحزن في الشعر العربي القديم

التمهيد

إنّ المطّلع على تاريخ الشعر العربي يرى تعدد الرؤى الشعرية واختلاف المشاعر بين الشعراء، فلكل أسلوبه في التعبير عن تلك المشاعر، إلا أننا نجدهم يتقاطعون في ظاهرة الألم والحزن في أشعارهم على اعتبار أنّه من المشاعر التّي لا يمكن كتمانها طويلا ،فهو منهل الإبداع ومغرفه وقد قيل أنّ البشر يخبئون مشاعرهم تحت جلودهم، غير أنّ الشعراء لا يحتملون ذلك ،فكان الحزن بارزا في أشعارهم وساريا في نفوس المتذوقين له بشكل واسع خاصة فنرى مدى تفاعل القارئ والناقد له، كما في الشعر الحديث ، ونجد في شعرنا القديم للحزن مجلسا، فحين تقف عنده تجد نفسك أمام وادٍ من الدموع المنهمرة من الهموم والمصائب، وحبائل الوصال والهجر مقطوعة، والمعروف أنّ الشاعر ابن بيئته يستمد من أنوائها وأحداثها عالمه، فحزنهم يعترضك في مطلع قصائدهم.

إنّ النفوس مهما قست لا يليّنها إلاّ البكاء ،ولا يبلغ فيها ذلك المبلغ إلاّ بالحزن والألم يقول المنفلوطي: "ولا أدري ما الذي كان يعجبني في مطالعتي من شعر الهموم والأحزان ومواقف البؤس والشقاء ... فقد كان يعجبني كثيرا ويبكيني أحرّ بكاء ..."[1]، ثم نراه قد أخذ يعدد مآسي وأحزان التاريخ العربي في الحب والسياسة ويصورها أحسن تصوير حيث يقول: "كأنما أرى الدموع مظهر الرحمة في نفوس الباكين، فلما أحببت الرحمة أحببت الدموع لحبها، أو كأنما كنت أرى الحياة موطن البؤس والشقاء مستقر الآلام والأحزان وإن الباكين هم أصدق الناس حديثا عنها وتصويرا لها... أو

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، ج1، الدار النموذجية، بيروت، ط1، 2001، ص17.

كأنما أرى أن جمال العالم كله في الشعر وأن الشعر هو ما تفجر من صدوع الأفئدة الكليمة فجرى من عيون الباكين مع مدامعهم وصعد مع صدورهم مع زفراتهم[1]"

فالشعر هو وليد الحزن فهو ينبع من النفوس المعذبة والمحترقة من الهموم والآلام.

أولاً: مفهوم الحزن لغة واصطلاحاً

1- التحديد اللغوي:

تشتمل مادة "حزن" في المعاجم اللغوية على معانٍ عدة:

ورد في لسان العرب لابن منظور:

1-الحُزْنُ والحَزْنُ: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور.

رَجلٌ حزنان ومحزان: شديد الحَزَن.

وقالوا فيه: الحزن: هَمُّ الغذاء والعشاء، وقيل هو كل ما يُحْزِنُ من حَزَنِ المعاش أو حَزنِ العذاب أو حَزَنِ الموت فقد أذهب الله عن أهل الجنة كلّ الأحْزان، حيث قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ﴾[2].

2-الحُزَنُ: المكان الغليظ.

قال الأصمعي: الحُزَنُ: الجبال الغلاظ.

[1] المرجع السابق، ص21.

[2] سورة فاطر، الآية 34.

3-ويُقال للحَزَنِ حُزْنٌ[1].

وذكر الفيروز آبادي في "القاموس المحيط":

الحُزْنُ: بالضم، الهمّ، ج. أحزان

أحزنه الأمر جعله حزيناً[2].

وورد في "المختار من صحاح اللّغة"

ح. ز. ن: الحُزْنُ والحَزَنُ ضد السرور

وفلان يقرأ بالتحزين إذا أرقّ صوته به

حَزَنَ الأمر فلاناً، حزناً: غمّه وفي القرآن الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾[3]

تَحَزَّنَ عليه: بمعنى توجّع[4].

ومنه لم تكن المعاني السابقة- بحكم اشتقاقها من جذر واحد- منفصلة عن بعضها، بل وجدت بينها صلات جعلت منها حلقات متصلة، يجمعها معنى عام مشترك؛ وهو الغمّ، فالحزن نقيض الفرح، ومحزان شديد الحزن، والحزن المكان الغليظ وتحزَّن أي توجّع.

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.ت)، ج10، باب الحاء، 861، 862.

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، فصل الحاء، ص 1189.

[3] سورة المائدة، الآية 41.

[4] محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 101، 102.

2- التحديد الاصطلاحي

إن البحث عن معنى كلمة "الحزن" ومفهومها يعتبر رحلة في محيط واسع، ذلك لأنّه يبدو لمعظم الدّارسين أنّ لفظ "الحزن" ليس بحاجة إلى تعريف شأنه شأن الألفاظ الدالة على المفاهيم المجرّدة كما و أنّ استخدامه واسعٌ من طرف الأقلام فالحزن هو قيمة نفسية، مرتبطة بنفسية الشاعر وهاجسه[1].

وهناك من رأى بأنّ الحزن لا يتأتى من فراغ، بل يأتي نتيجة ما يحدث في دخيلة الشاعر من توتر نفسي، وهو أيضًا الصورة المرئية التي تندمج مع اللحن المسموع وتنضم إليه انضمام النضير للنضير.

وهناك من يرى أنّ الحزن " صوت التعبير الذاتي، والخوالج الشخصية وتزاحم أنغام الشكوى والأنين، ومناجاة الأطياف والإيغال في وصف العاطفة ، والجنوح إلى لون من الروحانية والتصوف وإطلاق العِنان للأخيلة والأوهام"[2] كما أنّه انغماس في المشاعر الذاتية وسيح مع الأحلام.

وقد تمثّل الحزن في أنّه اليأس المرير والشك الأسود، فكان نغمة ناشزة في شعرنا خاصة المعاصر منه.

[1] عبد الرحمان إسماعيل، العنوان في القصيدة العربية، مجلة جامعة الملك سعود، مج8، الآداب (1)، 1996م، ص53.

[2] محمود تيمور، اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، المطبعة النموذجية، (د . ت)، (د . م)، ص21.

ثانيا: بواعث الحزن في الشعر القديم

1-التأزم النفسي ومأساوية الحياة:

كانت القصائد القديمة من الشعر لوحات بديعة من الوصف، كانت تخييلا، كانت سردا، كانت قصا و استدعاءً، كما كانت ثورةً، فكان لكل شاعر قصة يقصها، وحادثة يرويها إذا وجد الجو المناسب لذلك فكان له موقفه الفردي الخاص، أو يخص قبيلته، فكل هذا انعكس على نفسيته ومسار شعره.

نبدأ حديثنا عن امرئ القيس الذي كان عابثا لاهيا، يعيش كما يحلو له، ولكن هيهات للحياة أن تستقر، فكان ليله ثقيل أرهق نفسه وآلمه، فهو يصف ليله الطويل فيخاطبه ويحاوره دون إخفاء يأسه، فأتى أساه بعد البكاء، فكان دمعه في مطلع القصيدة، غير أن شكواه تَجَاوَزَت الدمع، فلامست الجوانب النفسية وطرحتها دون حجاب:

وَليلٍ كمَوْجِ البَحرِ أرْخَى سُدولَهُ عـليّ بـأنْـواعِ الهُـمـوم ليَـبْتَلَـي

فَقُلْتُ لَـهُ لما تمَطَّى بصُـلْبِـهِ وَأرْدَفَ أعْـجـازاً وَنَـاءَ بـكَلْكَلِ

ألا أيّها اللّيلُ الطّويلُ أَلا أَنْجَلِ بصُبْحٍ، ومَا الإصْباحُ مِنْك بأمثَلِ[1].

الشاعر في حزنه ويأسه كأي شخص في عصرنا، تنتابه الهموم، لا يعرف للنوم طعماً رغم حاجته إليه، كما أنه لا يحبذ النهار، فكان هاربا من النور إلى ظلمة الانفراد مبعث حزنه وهو ما كابده وما أفلس منه بعد لهوه.

[1] أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة: أشعار العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2003، ص130.

وعلى غير ما عهدنا وخلافا للمألوف ظهر حزن طرفة بن العبد، فكان حزنه متمردا ثائرا، فقد كانت له مشكلة مع أعمامه وقومه حول إرثه من والده عندما كان طفلا، فظهر حزنه وهو في مقتبل العمر، فقدم لنا شعراً يلامس معاناته، ويصورها، فالمصائب تدفع بالبعض للهروب إلى عالم آخر لينسيه همّه، وقد التمس طرفة دربا اقتنع به، فأقبل إلى الملذّات التي لم تستطع انتشال الحزن الذي يقبع في أعماق نفسه، فيقول:

وَمَازَالَ تِشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي وبَيعِي وإنْفَاقِي طَرِيقِي وَمُتَّلَدِي

إلى أنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرةُ كُلُّهَا وأُفْـرِدْتُ إفْـرَادَ البَعِـيرِ المُعَبَّدِ[1]

والملاحظ أن قبيلته قابلت إحسانه وإيثاره لها بالقطيعة والجفاء، فكان لسانه مرا كظلمهم، وصوته حمما مصوّبة نحوهم.

فمَا لِي أَرَانِي وابنُ عَمِّيَ مَالِكاً مَـتَى أُدَانُ مِـنْهُ يَـنْأَ عَـنِّي وَيَـبْعُدِ؟

يَـلُـومُ ومَـا أَدْرِي عَـلَامَ يَلومُنِي كما لَامَنِي في الحيّ قُرْطُ بنُ مَعْبَدِ

وأيْأسَـني مـنْ كـل خـيرٍ طَـلَبْتُهُ كأَنَّا وضَعْناهُ إلى رَمْـس مُـلْـحَـدِ[2]

ولكن يظهر بيت القصيد في هذا الحزن المضني، وهذا الشعر الراقي بقوله:

وظُلْمُ ذَوي القُرْبى أشدُّ مَضَاضَةً على المرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهنّدِ

ظهر حزنه لوحة أليمة مأساوية، أحسن اختيار الموقف ولم يتجاوز الواقعية فيه، بل تجاوز التصوير فيقول:

[1] طرفة بن العبد، الديوان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2003، ص 33.

[2] المرجع نفسه، ص 35.

فإنْ مُتُّ فانْعِيني بما أنا أهْلُهُ وشُقِّيَ عَلَيَّ الجَيْبُ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ

ولا تَجْعَلِيني كامرئٍ ليسَ همُّهُ كهَمّي، ولا يُغْني غَنائي ومَشهَدِي[1].

تجربة الشاعر جديرة بالدراسة والعناية، فالحزن في قصيدته كان مسترسلا متدفقا ما شكّل ملمحا من ملامح الشعر العربي فكانت معاناته لوحة من الخيال البديع ومنبعاً للأفكار، الموقظة للمشاعر.

وفي المنحى الاجتماعي تلتقي قصيدة عنترة مع طرفة، وهي معلقته الشهيرة، فعنترة هو محرر للرق والعبيد كما قدمته السِّيَرُ، فكان يعيش حالة نسيان ذاتي، ما أدى به إلى خوض معركة لإثبات وجوده، فقد نسج لنا حزنه معايير أخلاقية وقيم، فحزنه دفعه لتكوين شخصيته، ولهذا أحب الناس سيرته، فمزج في حزنه بين الغزل والفروسية، فقال:

أثْني عليّ بما عِلمتِ فإنّني سمْحٌ مُخالقَتِي إذا لمْ أُظْلَم[2]

وإذا ظَلَمْتُ فإنَّ ظُلْمِي باسلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُه كَطَعْم العَلْقَمِ

هلّا سَألتِ الخَيْلَ يابْنَةَ مَالِكْ إنْ كنْتِ جَاهِلة بمَا لم تَعْلَمِي.

وفي هذه الأبيات كان عرضه محاولة لتقديم ذاته المحترقة التي لم تجد من يقدرها، وقد وجدها في أروع بيت يجسّد المكابدة النفسية والعناء القهري وهو في قلب المعركة، وقد اشتد وطيسها، فيقول:

[1] المرجع السابق، ص 37.

[2] أحمد أمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، تح، محمد عبد القادر الفاضلي، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م، ص 158-159.

يدْعونَ عنْـتَـرَ والرِّمـاحُ كأنَّها أشْـطانُ بِئْـر في لـبـانِ الأدْهَـمِ

ولَقَدْ شَفَا نَفْسِي وأَبْرَأَ سَقْمُهَا قِيلَ الفوارِسُ، وَيْكُ عنْتَرَ أقْدَمِ[1]

فروحه الودودة التي خاطب بها عبلة في قلب المعركة ليكسب الود والإعجاب وينال الحرية المنتظرة أوجدت نوعا من الحزن جعل منه شاعرا وفارسا بحق، وفي هذا يقول:

ولقدْ ذكرتُكِ والرِّمَاحُ نَواهِـلُ مِنِّي وَبِيضُ الهِنْدِ تقْطر منْ دَمِي

فودِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأنَّها لمَـعَـتْ كـبَـارقِ ثَـغْـرِكِ المُتبَسِّمِ[2]

2-الحب المحروم ولوعة النفوس:

يعتبر الحب أحد أهم الأغراض التي شُغِلَ بها الشاعر العربي، فالشعراء في الجاهلية كانوا يغنون حبهم ويصورون انفعالاتهم وأحاسيسهم تجاه من يعشقون، وأخذ الغزل يتطور في العصر الإسلامي، فظهر الغزل العذري الذي ينسب إلى قبيلة بني عذرة التي تفرد أبناؤها بهذا اللون، فندخل إلى معبد الحب أين يمكث أمير العشاق العذريين "قيس بن الملوح" في محرابه، فنراه يوقد شموع الوجد في ليل الفراق، ويصعد زفرات الجوى هياما وعشقا، ويقدم القرابين على مذبح الهوى من أنفاسه الحرار وحسه المشوب، فيقول ودموعه منسابة:

ولمْ تزلْ مُقْلتِي تَـفيضُ بـدمْـعٍ مثلُ فَيْضِ الغيوثِ مذْ فَقَدْتُها

مُقْلَةٌ دمْعُـهَا حَـثِيـثٌ وأخرى كلَّمَا جَفَّ دَمْعُهَا أسْـعَدَتْهَا

[1] المرجع السابق، ص 164-165.

[2] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 219.

ما جَرَتْ هَذِهِ على الخَدِّ حَتَّى لحِقَتْ تِلْكَ بِالّتي سبِقَتْهَا[1]

ومن أجمل أغانيه الشعرية الحزينة وأعمقها إثارة في النفس تصوير قيس بن الملوح لقلبه إذ يطفر بين الضلوع على ذكر اسم ليلاه فيقول:

كأنَّ القلبَ ليلةُ قبْل يُغْدِي بلَيْلَى العَامرِيّة أو يُرَاحْ

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقدْ عَلِقَ الجَنَاحْ.

يصور حركة القلب الذي يثب فجاءة بين الضلوع ليلتقي بمن يحب ويعانقه، بل يتحد به بعد طول حرمان، وينطلق من لهيب الفراق إلى نسيم التلاقي، من ظلام الجذور إلى أنوار الأزهار، فكانت الصورة جياشة بالحياة مجسدة الإحساس باللوعة وتُعمقه. ويقول مناجيا قلبه عاتبا عليه:

حبيبٌ نَأَى عني الزَّمَان بقرْبِهِ فصيَّرَني فَرْداً بغَيرِ حبيبِ

فَلِي قَلْبٌ مَحْزُونُ وعقْلُ مُدَلَّهُ ووِحْشَةُ مَهْجُورِ وذُلُّ غَرِيبِ

فيَا حِقَب الأيّام هلْ فيكِ مَطْمعُ يرُدُّ حبِيبَ أوْ لِدَفْع كُرُوبِ[2]

ولم يكن سكب الدموع حكرا على العاشقين، فالشعراء يسكبون الدمع على الأحبة في وقوفهم على الأطلال منذ الملك الضليل، ودموعهم تلك الغزيرة لا تنفجر من أحجار الماضي حزنا على الفردوس المفقود ومسراته الضائعة، ولا مناجاة ملتاعة للربوع المهجورة، بل هي تعبير عن حب وحنين حيث يقول الشريف الرضى:

ولقدْ مررتُ على ديارهِمْ وطُلولِهَا بِيدَ البَلَى نهْبُ

[1] قيس بن الملوح، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص 117.

[2] المرجع نفسه، ص 113، 105.

فَوقفتُ حتَّى ضجَّ من لغْبُ نِضْوِي، ولُجَّ بعَذَلي الرَّكْبُ

فتلفَّتَتْ عيْـنِي فـمُذْ خَفِيتُ عني الطُّولَ تَلَفَّتَ القلْبُ[1]

ويقول جميل بن معمر في تشوقه إلى مواطن حبه وصباه:

ألا لَيتَ شِعري، هَل أبيتنّ ليلةً بوادي القُرى؟ إني إذَنْ لَسعيدُ!

يموتُ الهـوَى مِنّي إذا مَا لقِيتُهَا ويحــيَا، إذَا فَــارقــتُهــا فــيعودُ[2]

ومن يقرأ قصيدة "مهيار الديلمي" الذي استوحى هبوب الرياح والنسيم، وإثارتهما لعاطفة الحب والحنين الكامنة في الصدور التي يقول فيها:

يا نسِيمَ الصُّبح من كاظِمةَ شدَّها هجتِ الجَوَى والبَرَحَا

يحس أن صوت الشاعر يأتي من بعيد كأنه صدى ناي حزين تتقاطر ذكرياته فيحتضنها في لوعة الحب وسعادته، وبأنها تهاتفه في البداية بهمس عميق ومناجاة مليئة بالأسى تأسرنا في رقتها ورهافتها، ما يفجر في نفسه الوجه وتقتلع كوامن الذكريات في قلبه.

ثم يقول:

الصِّبَا، إنْ كَان لابُدَّ الصّبَا إنَّها كانت لقَلبِي أرْوَحَا

فقد افتتح هذا البيت "بالصبا" وهو تعبير عن المكان الذي ينزع إليه قلبه، فهو يتذكر "الصبا"، لأنها تهب عليه من موطنه، فيحرك ذلك شعوره بالحرمان ويبعث في نفسه الحنين إلى "ريح الصبا" ويحس بعبير الذكريات العطرة يغمر روحه.

---

[1] الشريف الرضى، الديوان، دار الجيل، بيروت، ط1، مج1، 1995، ص 176.

[2] جميل بثينة، الديوان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، ص 40.

ويقول في البيت الثالث:

يانَدامَاي بسَلْعٍ هل أرَى ذلك المُغْبِقَ المُصْطَحَا؟[1]

نرى أن حب الحياة يشغل وجدانه ويشعل أشواقه، فأتت نغمته حالمة شجية حتى تظن أنه يعبر عن فراق حبيبته عذرا لا عن فراق مجلس الشرب.

ثم يختم القصيدة بقوله:

فاذكرونا مثل ذكرانا لكم ربّ ذكرى قـربـت مـن نـزحا

واذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدح[2].

هذان البيتان يتحديان النسيان! فكيف بهما ينسيان وهما يثيران الأشواق في القلب ويعبران عن الحنين إلى الأحباب وافتقادهم في الغربة، ومناجاة أطيافهم ومناشدتهم من خلالها، فكانت هذه القصيدة صادرة عن إحساس صادق يتقد حرارة.

وفي قصائد المحبين نجد تلك المسحة من الحزن من التأوّه من السّهر فتراهم يعالجون خلجات نفوسهم بهاته الأشعار، كقصيدة ابن زيدون أين نجد مثلها، فكانت زبدة ما جادت به قريحته فيقول فيها:

نَأسَى عَليكِ إذا حُثَّت مُشعْشعة فِينا الشَّمُول وغنَّانَا مُغَنِّينَا

لا أَكُوسُ الراحِ تُبْدِي مِن شَمائِلِهَا سِيمَا ارْتياحْ ولا الأوتَارُ تُلهِينا

دُومِي عَلى العَهْدِ ما دُمْناَ، مُحافِظةً فَالحُرُّ مَنْ دَانَ إنْصَافاً كَمَا دِينَا

فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلاً مِنْكِ يَحْبِسُنَا ولَا اسْتَفَدْنَا حَبِيباً عنْكِ يُثْنِينَا

[1] حسن فتح الباب، رؤية جديدة لشعرنا القديم، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1984، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص91.

أبْكِي وَفَاءُ وَإنْ لمْ تُبْدِ لِي صِلَة فالطَّيْفُ يُقْنِعُنَا والذِّكْرُ يُكْفِينَا[1]

ثالثاً: مظاهر وأشكال الحزن في الشعر القديم

1-الوقوف على الأطلال:

المعروف أن الشاعر ابن بيئته يستمد من أحداثها وأنوائها عالمه، فحزنهم يعترضنا في مطلع أغلب القصائد، فاعتُبر حزنهم تقليداً تكاد لا تخلو منه قصيدة، ولكن إذا تعمق المطلع في النموذج وغاص داخل القصيدة فسيفهم العلاقة الحميمية بين الشاعر ومكان نشأته وبأنها كانت داع حقيقي لحزنه وأساه، فكان شعوره صادقاً ومعبّراً عن ذاتيته، أما حزنهم فتحتضنه الدموع والحسرة، وتهيّجه الذكريات فشاعر كامرئ القيس أجاد في تعبيره وتوسله واستجدائه، حيث يقول:

قِفَا نبْكِ منْ ذكْرَى حَبيبٍ ومنْزِلِ بسَقْطِ اللُوَى بَينَ الدَخولِ فَحَومِلِ

كَأنّي غَدَاة البَينِ يَومَ تَحَمّلُوا لدَى سَمواتِ الحَيّ نَافِقفُ حَنْظلِ

وقُوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون: لا تهلك أسى، وتجمل

وإن شقائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول؟[2]

الشاعر هنا قد ركز على تفاصيل وجزئيات من المكان الذي عاش فيه وربطه بغياب الأحبة الذين كانوا يملؤون هذا المكان.

[1] ابن زيدون، الديوان، دار صادر، بيرت، ط1، 1998، ص13.

[2] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 124.

وغير بعيد عن امرئ القيس يقول طرفة بن العبد:

لخـولة أطـلال بــبرقة ثهــمــد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهــلك أسـى وتجـلـد

فحاول الهرب من ألم الفراق وما اصابه من غم فذهب يتلمس الحل في وصف الرحلة الشاقة:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تلوح وتغتدي[1].

في حين أن النابغة الذبياني فضّل في مطلع معلقته الدالية النداء لتلك الدار المقفرة الخاوية.

يـا دار مـيّة بالـعلـياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقفت فيها أصيلا كي أسائلها عيّت جوابا وما بالربيع من أحد

فكان حزنه من هنا دفينًا، محرقا للنفسيته الخائبة، فكانت الصدمة التي ألهبت حزنه حين وجد أن الأرض قد هجرها أهلها.

غير أن الحارث بن حلزة وصف المشهد فترى فيه شفافية حزنه، ومدى تأثيره في النفس، فيقول:

آذنـتـنـا بـبـيـنـها أسماء رب ثاو، يمـل مـنه الثـواء

بعد عهد لنا بـبـقـة شـمّا ء فأدني ديارها الخـلـصاء

لا أرى من عهدت فيها، فأبكي اليوم دلها، وما يحيّر البكاء[2].

[1] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 197، 198.

[2] أحمد أمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، ص 227، 173.

ووصف الأطلال وذكر الديار في الشعر القديم لم يكن مجرد صورة تقليدية جامدة لا حسّ فيه ولا حياة، لمناظر الأطلال والديار قد رحل عنها الأحباء، كانت تثير في النفس انفعالات الأسى والحزن وانفعالات الأشواق وهواجس الحنين، فكان الشاعر صادقا في عاطفته عميقا في إحساسه إلى أبعد الحدود[1].

وها نحن مع زهير بن أبي سلمى في وصفه مشهدا من مشاهد الشجن ولوعة الفراق ووقوفه أمام بيت محبوبته أم أوفى، وقد ثارت في نفسه ذكريات الأيام السالفة، فهزته أشواق الحب فإنه وقف، نادى، وهتف، سأل ثم قرّر فهتف قائلا:

أمن أم أوفى منه لم تكلم بحومانه الدراج فالمتلثم[2]

فكان سؤال الشاعر معبرا عن دهشته وحيرته، وقد دعا الغافل وأيقظه كي يشاركه في محنته، ثم أخذ في وصف أطلال بيت حبيبته في أسلوب يتسم إيقاعه بالقوة، وكأن قطرة الحياة هي التي تعبر فكانت ساذجة في التصوير فطرية تلقائية لا تصنّع فيها ولا تكلّف، كما أدخلت ما شاهدته إلى دائرة معاناتها فكانت مصتبغة بتلك الصبغة.

ثم نجده يعبر عن خيبته وقد خالطها الحنين، فملأ وجدان الشاعر فصوره أسى مشوباً بالحير والقلق.

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأ يا عرفت الدار بعد توهم.

[1] محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2001، ص 198.

[2] أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، ص 77.

طال أمر القطيعة بين الشاعر وديار حبيبته، فكانت هذه المدة كفيلة بأن تُمْحَى من ذاكرته، أو على الأقل تشوه المعالم الأصلية التي تميزت بها الديار.

انتفض حزن الشاعر مع إبداء السلام والتحية لديار حبيبته، فكأنما هي تحييه، كيف لا والأطلال رموز الحب، ودلالة هوى، وسجلا لأيام جميلة، حيث كانت تحيته:

فلما عرفت الدار قلت لرَبعها ألا أنعم صباحا أيها الربع وأسلم[1]

وإذا ما تحولنا إلى عنترة بن شداد وتأملنا رحلته إلى دار حبيبته نجده شجاعا في قتاله، كريما عفيفا في حبه ومقاله، ونلمس من خلال أشعاره أنه عاجز عن تفسير ما يجري عندما يرى معظم الشعراء يسائلون الأطلال ويصفونها ويقفون عندها، فيقول:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم؟[2]

فكان تساؤله نتيجة الهزة العاطفية العنيفة التي أصابت كيانه، فأخذته نشوة الحب واستنفرت قريحته ذكريات الوصال، حتى إذا أفاق من دهشة الحب، صار يناجي الأطلال وكأنما يناجي إنسانا قريبا إلى قلبه يصطفيه بمودته ويؤثره بقوله:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وَعَمِي صباحا دار عبلة واسلمي

فهو مع تحيته ودعائه لها يدعوها أن تحكي عن أيام حبه لعبلة وما جرى فيها من أحداث وما سمعته من همس الأشواق وأحاديث الهوى، إذ كانت الأطلال أصدق شاهداً على حبه لعبلة وخير محدّث عن أيام وصالها.

[1] محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي، ص 200، 201.

[2] أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، ص 149.

ومن ناحية أخرى أخذ الشاعر العاشق وصف جمال عبلة بتعبير عذب رقيق نشهده ونسمع أنغامه في قوله:

دار لا أنسة غضيض طرفها طوع البنان لذيذة المتبسم.

وأثناء جولته بين ديار عبلة تراه يتلبث قليلا عند أطلال دارها أسيفا وجيعا قائلا:

فوقفت فيها ناقتي وكأنّها فدن لأقضي حاجة المثلوم.

وهو هنا يعبر عنترة بما جسمه له خياله المحزون، فهذه الأطلال ليست كغيرها، هي أطلال دار عبلة تستوجب عليه أن يخشع أمامها إجلالاً، وأن يقضي ما يفرضه عليه الحب من دموع وآهات.

وبعدما ما قضى فريضة الأسى والجزع على فراقها، لم يشأ الرحيل دون أن يلقي لها تحية كانت من صميم وجدانه المدلّهِ في حب عبلة، فهو يقول:

حُيِّيتَ من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم[1]

ومما يدلّ على أنها كانت تمثل عمق تصوير الشعور ومبعث أصداء موسيقية قوية تنطق بعظمة حب عنترة لعبلة وشغفه بها، فصور لنا مشاعره وصدق انفعالات وجانه في محنته تلك[2].

لقد تناول الشعراء الجاهليين الوقوف على الأطلال بأساليب تبدو متقاربة، وهذا طبيعي بفعل أنّهم من بيئة متشابهة في مناخها، وكذا عاداتها، فوقوفهم الطللي ذاك ما هو إلا شريط من الحزن والأسى والقلق والمرارة، فذكر الحبيبة والأماكن ومشاهد الرحيل كان لها تأثير قوي رداع للحزن والألم،

[1] محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي، ص 202.

[2] أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، ص 150.

فكان حزنه هذا مرتبط به حياته وموقفه من المحيط الذي يتحكم فيه طبيعة هذا الشاعر ما انعكس على شعره وأثّر فيه بطريقة مبتدعة.

2-الحنين:

إذا كان الشعراء في العصر الجاهلي قد عبروا عن حنينهم للديار وبكائهم عليها، متذكرين الحبيبة وأيام الصبا وشوقهم إليها، فإن الشعراء في العصر الإسلامي تجاوزوا الوقوف على الأطلال والبكاء عليها، فظهر نوع جديد من الشعر وهو شعر كما الوقوف على الأطلال، ولكنه بحلة جديدة، ويتمثل في ظاهرة الغربة والاغتراب، وقد كان لها في شعرنا الإسلامي رؤية شعرية وفنية جديدة، وقد تعددت أنواع الغربة، فمنها الغربة المادية؛ أي ما تتعلق بالمكان والغربة الزمانية، وقد شاعت الغربة المكانية بين الشعراء، ولقد اقتصرنا على ذكر شعراء من العصر العباسي باعتبار أن الشعراء في هذا العصر كانوا يتنافسون فيما بينهم، فكان هذا الصراع سببا في تغريب بعضهم، وهناك من أطلق عليها الغربة الفردية أو الشخصية.

وقد صور لنا علي بن الجهم غربته عن الوطن وشوقه للأهل والأحباب، بعد أن نُفِيَ إلى خرسان من طرف الخليفة المتوكل، وسبب ذلك خصومته مع بعض الشعراء حيث يقول:

ورحمتا للغريب في البلد النا زح مــاذا بنــفــسه صــنعا؟

فارق أحــبابه فــما انتفعوا بالعيش من بعد ولا انتفعا

كان عزيزا يقــرب دارهــم حتى إذا ما تباعدوا خشعا

يقول في نأيه وغربته عدل من الله كل ما صنعا[1].

وقد كتب مالك بن الريب التميمي قصيدة يرثي بها نفسه، ويشكو غربته وحاله وهو يموت وحيدا غريبا، حيث لا يراه أهله فيقول فيها:

يقولون: لا تبعد، وهم يدفنوني وأين مكان البعد إلا مكانيا؟

غداة غدٍ، يا لهف نفسي على غد إذا أدلجوا عنّي، وخلفت ثاويا

وأصبح مالي، من طريف وتالد لغيري وكان المال بالأمس ماليا[2].

وهذا أبو تمام فإنه كان كثير الترحال والتنقل فأَلِفَ الغربة فلا يقربه قرار، حيث قربته الغربة عن أهله وأحبابه فجعل من نفسه خليفة للخضر على نحوها يقول:

ما اليوم أول توديعي ولا الثاني البين أكثر من شوقي وأحزاني.

دع الفراق فإن الدهر ساعده فصار أملك من روحي بجثماني

خليفة الخضر من يربع على وطن في بلدة فظهور العيس أوطاني[3]

أما المتنبي المعروف بالغربة، حتى أنها كادت ترتبط به فجعل الفراق توأمه والبين شقيقه، وفي هذا يقول:

أما الفراق فإنه ما أعهد هو توأمي لو أن بينا يولد

من خص بالذم الفراق فإنني من لا يرى في الدهر شيئا يُحمد

[1] علي بن الجهم، الديوان ، تح: خليل مردم ، دمشق، 1949، ص73.

[2] أبي زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 350.

[3] أبو تمام، الديوان، تح، محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، مج3، (د ت)، ص 308.

ثم نراه يشكو غربته بمصر بعد تركه بلاط سيف الدولة فألمّ به المرض مع غربته دون رفيق يأسه أو صديق أو خليل يسامره ويخفف عنه حدة المرض والغربة، فنجده يخاطب الحمّى قائلا:

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام

جـرحــت مجرحا لم يبق فيه مـكــان للســيوف ولا الســهام[1]

ثم يقول واصفا العيد في غربته وحزنه على أحبته وبعده عنهم:

عيد بأي حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أما الأحبــة فالبيــداء دونهــم فليت دونـك بيـداً دونها بيـد[2]

وعلى هذا النحو ورد كثير من الشعر الذي يشكو فيه أصحابه من حياتهم في الغربة وما يلاقونه من آلام وصعوبات، حتى أصبحت العودة إلى الوطن حلما صعب المنال أو أمراً مستحيلا يقف الموت دونه.

يقول علي بن الجهم مصوراً ذلك:

يشتاق كل غريب عند غـربتـه ويذكر الأهل والجيران والوطـن

وليس لي وطن أمسيت أذكره إلى المقابر إذا صارت لي وطنا[3]

وكما يقول المتنبي أيضا:

أحن إلى وطني وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب؟

[1] المتنبي، الديوان، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 2005، ص 201.
[2] المرجع نفسه، ص 484، 506.
[3] علي بن الجهم ، الديوان، ص468.

ثم يصور لنا ضياعه التام:

بم التعلّل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن؟![1]

وأعظم غربة تحصل حين يقع الشخص أسيرا في أيدي الأعداء فيكون حاملا لهمّين غربته في المكان وكذا غربته في الزمان، وهو ما نراه قد حصل مع أبو فراس الحمداني فوقع أسيرا في أيدي الأعداء، فكتب قصيدته مخاطبا سيف الدولة مترجيا إياه على فكه من أسره متذكرا في الآن ذاته أمّه مناجيا لها في غربته فيقول:

يا حسرة ما أكاد أحملها آخرها مزعجا وأوّلها

عليلة بالشآم منفردة بات بأيدي العرا معللها

تمسك أحشاءها على حرق تطفئها والهموم تشعلها

إذا أطمأنت وأين؟ أو هدأت عنت لها ذكرى تؤرقها

تسأل عنا الركبان جاهدة بأدمع ما تكاد تمهلها.

إلى أن يقول:

يا أمتا هذه منازلنا نتركها تارة وننزلها

يا أمتا هذه مواردنا تعلّها تارة وننهلها

أسلمنا قومنا إلى نوب أيسرها في القلوب أقتلها[2].

[1] المتنبي: الديوان، ص 468، 471.

[2] أبو فراس الحمداني، الديوان، شرح علي بوملحم، ط1، دار الهلال، بيروت، 1995، ص 143.

ولم تقتصر الغربة في المكان فحسب، بل تعدتها لتصل إلى الغربة في الزمان – ما ولد حزنا باردا على حد تعبير النقّاد – فالشعراء في مرحلة ما يحسون بأنهم غير منتمين للمحيط الذي يعيشون فيه حتى وإن كانوا بين أهلهم وفي أوطانهم، إلا أنهم يشعرون بأنهم يعيشون خارج إطار الزمن فانعكس ذلك على شعرهم الذي يصورهم غرباء في وطنهم الذي لم يقدرهم ويعرف قيمتم فصوروا لنا جهل أولئك الناس وانصرافهم إلى توافه الأمور، في حين أنهم يتحدثون عن قيمتهم – أي الشعراء – ويفرحون بمناقبهم وتفردهم في زمن غير موات حتى صاروا فيه غرباء، وفي ذلك يقول أبي تمام:

لقد ساسنا هذا الزمان سياسة سدي لم يسسها قطّ عبد مجدع

تروح علينا كل يوم وتغتدي خطوب كأن الدهر منهم يصرع

حلت نطف لنكس وذو الحجى يداف له سم من العيش منقع[1].

فتقلب الزمان وقسوته كدر صفو حياتهم وحتى أصبحت مكانتهم دون مستوى العبد، وإن لم يكونوا كذلك فالعيب في الزمان الذي وقف بالمرصاد وراح يذيب السم الناقع في عيش كل ذي عقل، بينما يحلو لكل عيي جاهل[2]، ثم راح يشبهه بالسيل ليؤكد صدقه، يقول:

عادت له أيامه مسودة حتى توهّم أنهن ليال

لا تنكري عطل الكريم من الغني فالسيل حرب للمكان العالي[3].

[1] أبو تمام، الديوان، مج2، ص 324.

[2] أشرف علي دعدور، الغربة في الشعر الأندلسي، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط1، 2002، ص 36.

[3] أبو تمام، الديوان، مج3، ص 17.

أما البحتري فقد التقت عنده المصائب في وقت من الأوقات عنده، ونراه يحدثنا عن زمانه وعن فقره وغربته:

من كان يحمد أو يذم زمانه هذا فما أنا للزمان بحامد

فقر كفقر الأنبياء وغـربـــة وصبابة ليس البلاء بواحد

ونراها وقد اكتملت مأساته مع انقلاب الأوضاع الاجتماعية يقول:

وما برحت صروف الدهر حتى أرتنا الأسد قتلى للقرود[1]

أما موقف المتنبي من الزمان ومن الناس فإنه شائع في أشعاره، فكانت تصور لنا إحساسه بالمرارة حين يذم الزمان ويسخر من أهله، ونجد ذلك في قوله:

لا تلق دهرك إلا غير مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدن

وقوله أيضا:

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم وأتيناه على الهرم[2]

ويقول واصفا أهل زمانه:

ودهر ناسـه نـــاس صـغار وإن كانت لهم جثث ضخام

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكـــن معدن الذهب الرخام

أرانب غير أنهم ملوك مـفـتـــحة عيـونهم نـيـــام[3].

[1] البحتري، الديوان، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 2000، ص 375.

[2] المتنبي، الديوان، ص 371.

[3] المرجع نفسه، ص 498، 101.

وهو هنا يتبرأ من أهل زمانه وأنكر انتسابه إليهم، فهو يبرر وجوده بينهم، كما يوجد الذهب مختلطا بالتراب رغم الاختلاف الشاسع في قيمته، فهم وإن كانوا في زي الملوك، فهو لا يخفي حقيقة أنهم أرانب، ونرى أن المتنبي قد بالغ كثيرا في ذكر ذلك[1].

ونرى الشعراء قد قرّروا أن يقدموا صورا رائعة يبررون فيها ضياع مكانتهم في المجتمع على الرغم من وفور فضلهم، فلا عيب فيهم وإنما العيب من زمانهم وأبناء هذا الزمان، فهم إن غُرِّبُوا يبقى علمهم زادهم في هذا الزمان وما يتحلون به من الصفات، يقول البحتري:

أضيع في معشر وكم بلد يعد عود البكاء من حطبه[2]

فهو قد يضيع أو يهان في بلده، لكن لا يدفعه ذلك إلى التخلي عن قيمه وأخلاقه التي قد يجد الحياة مرة إذا تمسك بهذه القيم والأخلاق وحرص عليها، وفي هذا يقول أبو فراس الحمداني:

وتركت حلو العيش لم أحفل به لما رأيت أعزه في مره

والمرء ليس بغانم في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكره[3]

وقد يدفعهم هذا الإحساس بالغربة في وطنهم وبين أبناء مجتمعهم إلى الرحيل بحثا عمن يقدرهم ويعرف مكانته، ويقول المتنبي:

خليلي ما هذا مناخا لمثلنا فشدا علينا وارحلا بنهار[4]

---

[1] ينظر: أشرف علي دعدور، الغربة في الشعر الأندلسي، ص 38.

[2] البحتري، الديوان، ص 282.

[3] أبو فراس الحمداني، الديوان، ص 106.

[4] المتنبي، الديوان، ص 27.

3-الرثاء:

يشغل الرثاء مساحة كبيرة في ديوان الشعر العربي القديم، كما أنه يمتد إلى الشعر الحديث، فيقول حافظ إبراهيم:

إذا تصفحت ديواني لتقرأني وجدت شعر المراثي نصف ديواني

والمعلوم أن شعر الرثاء صادر عن أعماق النفس، وفي هذا الحديث يقول حسن فتح الباب: "أن الرثاء فن مركب من الذاتية والحاسة الاجتماعية والنظرة الكلية الشاملة للوجود، تلك النظرة التي يتداخل فيها الماضي والحاضر والمستقبل للفرد والجماعة وللعالم"[1].

فالشعراء بشعرهم الرثائي ذلك يعبرون عن أدق خلجات النفس وما يعتريها من إحساس بالألم لفقدان عزيز، فكانت أشعارهم كلها تفيض بالحزن الممض والألم المخرق، فالرثاء يصور الحزن تصويرا دقيقا.

وتعتبر أبيات الشاعر متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك إحدى أهم الروائع من المراثي التي وصلت إلينا.

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي، لتذارف الدموع السوافك

أمن أجل قبر بالفنا أنت نائح على كل قبر، أو على كل هالك؟

فقلت له: أن الشجا يبعث الشجا فدعني، فهذا كله قبر مالك[2]

[1] حسن فتح الباب، رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص 20.

[2] المرجع نفسه، ص25.

وقد جاء رثاؤه هذا رثاء حاراً صادراً عن قلب موجوع وفؤاد ملتاعا وقد جاء كفنا في شعره وعفوية الحزن في رثائه صادرة عن فيض الخاطر الكليم المكدود.

إلا أن المطلع على ديوان الرثاء في الشعر العربي يجد أن له خاصية، وهي تفرد المرأة العربية في هذا الغرض من الشعر، فيقول يوسف اليوسف: "إننا نملك مراثي فرضتها سبعون امرأة اشتهرن بأنهن شواعر لا تنسب إليهن في الغالب الأعم إلا قصائد رثائية".

وأشهر من بكت واستبكت في الجاهلية الخنساء الشاعرة التي فجعها الدهر في أخاها معاوية فظلت تبكيه، ما أثار أخاها صخرا فأخذ في طلب الثأر لأخيه، فجُرِح جرحا أدى إلى وفاته، فعادت إلى نواحها، فكأنما وفاة صخر كانت القطرة التي أفاضت الكأس فأشعل في صدرها نار الحزن التي لا تخبو ولا تهدأ فتقول:

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم ذرفت أن خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار

فالعين تبكي على صخر وحق لها ودونه من جديد الأرض أستار[1]

والواضح أن الأبيات تمتلئ بالمشاعر الصادقة، ومشاعرها تعمّقها الحزن، حتى أن قلبها يكتوي به، وتفرط في نحيبها وتعلو بشيجها ونواحها ما وسعها الإفراط والعلو، فأخاها الذي كان أملها في دنياها قد أصبح بين عشية وضحاها خلف أستار وأحجار.

وتقول في أبيات أخرى:

[1] عباس إبراهيم، شرح ديوان الخنساء، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1994، ص 42.

أعيــنيّ جــودا ولا تجـمــدا ألا تبكيان لصخر النّدى؟

ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تـبكـيان الفـتى السيدا

طويل النجـاد رفيع العماد ســاد عشــيـــرتـه أمـردا[1]

ومن أروع قصائد الرثاء عبر العصور الأدبية نجد قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه التي لم ينل منها الزمن ولم يطفئ من توهجها، فلا يذكرها ناقد أو دارس إلا ويرى أنها مازالت محافظة على أصالة اللحظة، فحرارة أنفاس الشاعر – وقلبه ينزف حزنا على فقدان ولده – تلفح وجداننا وتفجر في الحنايا أعمق المشاعر وأنبلها[2].

والقارئ لأبيات ابن الرومي لا تشغله، بل تتعداه إلى الترويع مشكلة الحياة والموت أو لعبة القدر فتنفجر في ذاته عاطفة المشاركة في الحزن النبيل:

محمد: ماشئ توهّم سلـوة لقلبي إلا زاد قـلـبي مـن الـوجــد

أرى أخويك الباقيـــين فإنمـا يكونان للأحزان أروى مـن الـزند

إذا لعبا في ملعب لك لذّعا يمثل النـار عــن غــير مـــا عـــمد

فما فيهما لي لذة بل حرارة يهيجانها دوني وأشقى بها وحدي[3].

[1] المرجع السابق، ص 28.

[2] ينظر: حسن فتح الباب، رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص 139.

[3] ابن الرومي، الديوان، مج1، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002، ص 401.

فهذه الأبيات تمكن فيها الشاعر من الجمع بين رهافة الشعور وعمق الفكر، فلا يجد القارئ إلا ونفسه قد ذابت في هذه الأبيات، فهو أدخل النفس في أغوار الحياة، ولكنها لم تلبث بعد انتباهها من غفوتها اللاهية حتى تغوص في دوامة القلق فريسة للحزن.

وابن الرومي في أبياته كان عفويا لم يتسنّح أو يتصيد اللمحة الشعورية، بل إحساسه فيها فطري موهوب، مفضيا همومه وأحزانه فتنساب في أبيات وتغمر أيدينا متقاطرة كحبات الندى أو قطرات الدمع، فأجاد كل الإجادة في مرثيته تلك، وأشهر بيت يعبر عن عمق الإحساس بالألم والحزن قوله:

وإنمـــا أولادنـــا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض[1].

[1] حسن فتح الباب، رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص 144.

الفصل الثاني: تجليات الحزن في الشعر العربي الحديث

أولاً: الاتجاهات الأدبية للحزن

ثانياً: بواعث الحزن في الشعر الحديث

ثالثاً: مظاهر الحزن في الشعر الحديث

تمهيد

في شعرنا المعاصر استفاضت نغمة الحزن حتى صارت ظاهرة تلفت النظر، بل يمكن أن يقال أنّ الحزن قد صار أساسياً في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون من قصائد.

ويتضح هذا فيما ينشر من قصائد مفردة في المجلّات وفيما نستمع إليه من النّدوات الأدبية، وفيما ينشر من دواوين حتى صار الشعراء يُلِحُّون على إبراز جانب القتامة في الحياة.

هذا ويختلف الشاعر المعاصر في حزنه عن سلفه من الشاعر القديم الذيّ إذا رأى الوجه المطرب طرب، وإن رأى الوجه المحزن حزن"[1]، في حين نجد أن شاعرنا المعاصر قد اتسع مجال رؤيته، فهو لم يعد يرى الجانب الناصع وحده، أو الجانب القاتم لوحده بل صار يرى كِلا الجانبين متمازجين فجمع بينهما، وذلك لتأثير أحزان الشاعر الأوروبي فيه.

[1] نقلا عن، عز الدّين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، (د.ت)، (د.م)، ص 353.

أولاً: الاتجاهات الأدبية للحزن

1- الاتجاه الرومانسي:

يُعتبر الانتقال من القديم إلى الجديد حتمية اجتماعية، فهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً ((بحياة الأمة الاجتماعية وبالرغبة في تحول التيار القديم إلى تيارات أخرى جديدة أقرب إلى إحساسهم وأكثر تمشياً مع ملابسات حياتهم))[1].

وقد ضربت رياح التجديد الأدب العربي خاصة الشعر فظهرت الاتجاهات الأدبية والتي من بينها الرومانسية التي أبت إلا أن تكون ثورة على كل ما هو قديم، وحملت لواء التجديد في شعرنا العربي الحديث، فكانت مرتبطة بالفرد وذاتيته، كما أنها تعبير عن العاطفية الجامحة، والخيال المحلّق، فيصدر عن الشاعر الرومانسي "شعر يمتلئ بالأسى والكآبة والحنين إلى المجهول... والقصيدة من هذا النوع تعزي الجمال النائم للناظرين، وتبتعد عن الواقع على جناحين من الخيال الحر"2.

وممّا لا شكّ فيه أن المطّلع –ولو بنظرة عابرة– على دواوين شعرائنا المعاصرين يلمح مدى تأثير الرومانسية عليهم، يقول محمد مندور: "في مثل هذا الجر كان من المستحيل أن يظهر أي أدب غير أدب الشكوى والأنين الذاتي، فالشاعر لا يستطيع أن يتحدث عن نفسه وأحلامه، أو يهرب من الجحيم الذي يحيط به إلى الطبيعة وملاهيها يتعزى بها عن آلامه دون أن يستطيع الإفصاح عن مصدر هذه الآلام، فقال ناجي الشعر من وراء الغمام وحن كامل الصيرفي ينشد الألحان الضائعة،

[1] محمد زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، الهيئة المصرية العامة، ط2، الإسكندرية، 1974، ص 95.

[2] نقلاً عن القديم والجديد في الشعر العربي الحديث لواصف أبو الشباب، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، (د.ط)، ص 196.

ويسبح مختار الوكيل في الزورق الحالم، ويرسو سيد قطب إلى الشاطئ المجهول، ويرسل محمد أبو الوفا أنفسا محترقة"[1].

فالحركة الرومانسية امتلأت بالأنين والشكوى، فكان شعرهم شعر حب ولهفة وإحساس بالضياع والتأمل العميق، كما كان شعر الهرب من قسوة الحياة إلى أحضان الطبيعة التي تخفف من وطأة ثورتهم والشاعر "علي محمود طه" في قصيدته "الملاّح التائه" يقول:

أيها الملاح قمْ واطْوِ الشِراعا لمَ نطوي لَجّة الليل صِراعا

جدفٍ الآن بنا في هينة وَجهِهِ الشاطئ سيرا واتّباعا

فغداً يا صاحبي تأخذنا موجةُ الأيام قذْفاً واندِفاعاً[2]

الشاعر في قصيدته يعبّر عمّا في أعماقه من ألم وحزن ويصور معاناته واضطرابه وشقاءه، فنعيش معه القلق الذي ينتابه في بحر الحياة وفي خضم كوابيس مظلمة قاتمة، يضيع فيها الشاعر.

كما وجد الشعراء الغزل موضوعاً يتناسب مع معاناتهم العاطفية من وصف الطبيعة سبيلاً إلى إبراز ما في أعماق ذاته من وجد وشجن، فيضم مشكلته حتى نتصورها أنها مشكلة الكون كله والمجتمع.

يقول إبراهيم ناجي في قصيدته "الميعاد":

يا مخلفَ الميعادِ عُـدْ لتـرى جزَع الغريبِ وضيعةَ الرُّشدِ

وليـالـيـاً موصـــولةً ســهـــراً أبـــديـةً حــجـريةَ الكــبِدِ

[1] محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، ح2، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1957، ص 4.

[2] علي محمود طه، ديوان الملاّح التائه، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1972، ص34

وطـــليحَ أسـفـــارٍ وعـــلّته قتّـــالـــه لَمْ تشفَ في بلـدِ!

يا شعـــر أيامـــي وأغنيـــتي عليل ظمآن الشفاة صَدى!

يا ظالمي! عيناك كم وعدت قـــلبي إذا شفتـاك لَمْ تـعـدِ[1]

فإبراهيم ناجي وجد في الغزل منفذا للتعبير عما يعتريه من حزن وأسى وقلق واضطراب، فيتألم بشكل كبير في وصف عواطفه وإبراز ألمه وشكواه من الحبيبة التي كان يتوقع لقاءها، فصرنا في موقف العاجز الذي يعجز عن معرفة حقيقة موقفه من المشكلة التي يعانيها، فكان ينقصها الوضوح والعمق.

ونجد الشاعر "جبران خليل جبران الذي تصدّر شعراء الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث فكان شعره يتميز بتدافع الصور للتعبير عما يدور في أعماقه، يقول:

قد سجدنا للحب سجْدة كُفر مذْ بدا الحبُ ساجيا في جفونكْ

همّ في نفسـك الهـوى بوصـال فاتركي النـار تـشتعل في أتـونكْ

غـير أنّ الهـوى تَلجْـلَحَ غِنْـجا ويح قلبي من ثورة في سـكونِـكْ[2]

ومن هنا تظهر لنا أن الرومانسية كما يقول خليفة التليسي هي التي "تقوم على أيمان بالعاطفة وتقديس الشعور، والاستخفاف بالعقل، والتهوين من شأنه بل تحقره، لأنه يصيب الحياة بالجفاف، فيفقدها أجمل ما فيها وأجمل ما فيها بلا خلاف ما كان نتاجاً للعاطفة، وقد كانت العاطفة كل شيء في حياة هذا الشاعر الرومانسي"[3].

[1] إبراهيم ناجي، الديوان، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1980، ص32.

[2] جبران خليل جبران، الديوان، دار الأمم، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص138.

[3] خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ص93.

2-الاتجاه الواقعي:

إنّ مبالغة شعراء الاتجاه الرومانسي في تقديس الذات واتخاذها مصدراً ينطلق منها الشاعر عما يختلج في صدره من ألم وحزن، مهد لظهور اتجاه فني آخر، هو الاتجاه الواقعي، الذي برز كرد للاتجاه الرومانسي "فبدل أن يعتزل الشاعر الواقعي المجتمع ويعيش في برجه العاجي في أحضان الطبيعة، واجه المجتمع بكل ما فيه من مشاكل وصراع"[1].

ولا يمكن إنكار أن الرومانسية خلال ازدهارها لم تتمكن من منبع ظهور الواقعية من النمو، فتظهر وكأن الرومانسية كانت في طياتها تحتضن بذور الواقعية، إلا أن هذه الأخيرة رأت أن بالرومانسية انحراف نحو الذاتية، فرفضت بالتالي الانسياق وراء العواطف الحزينة ذات الطابع السوداوي والتشاؤم السلبي، فحاولت تغيير الأفكار والعواطف لتلاؤم واقع المجتمع، كما تجاوز الشاعر الواقعي اتخاذ موقف المحايد للمجتمع إلى التزامه بقضايا المجتمع ومعاناته والنظر إليها بموضوعية بعيداً عن التخييل والتهويم.

الاتجاه الواقعي في شعرنا الحديث حفر في شعراءه الالتزام في الفن، ومن هؤلاء نجد في طليعتهم عبد الوهّاب البياتي ومحمد الفيتوري وتوفيق زياد، لكل من هؤلاء الشعراء قضية يحملها في أعماقه يلتزم بها، رغم اختلاف مواقفهم واختلاف رؤاهم، إلا أنهم يلتقون أن خاصية كل شاعر نابعة عن تجربته الشعرية[2].

[1] واصف أبو الشباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، ص257.

[2] ينظر، واصف أبو الشباب، القديم والجديد في الشعر، مرجع سابق، ص268.

ونحن نرى الشاعر "عبد الوهّاب البياتي" يتطلع إلى طبقته التي يعبر عن مشاكلها وقضاياها، ويصور لنا ما تواجهه من عسف وقهر في قصيدة "سوق القرية"

الشـــمـــس، والحـمُـرُ الهزيلة والذباب

وحذاءُ جـنـــديَّ قـديم

يتداول الأيدي، .0وفلاحٌ يحدقُ في الفراغْ.

"في مطلع العام الجديدْ

يداي تمتلئان حتما بالنقود

وسأشتري هذا الحذاء"

والحاصدون المتعبون

"زرعوا، ولم نأكلْ

ونزرع صاغرين، فيأكلونْ"[1]

ينقل الشاعر آمال وطموحات الطبقة المسحوقة، فيستخدم صوراً من واقع بيئته، حتى أنه عمد إلى إعطاء أمثلة شعبية متداولة لتعميق رؤيته، وإبراز وضوحها، مبتعداً بذلك عن المثالية.

ويقول الشاعر محمد الفيتوري في قصيدة "معيتيقة... والله... وقاتلوها".

اسمها: معيتيقة.. مجرد راعية

صغيرةٌ، لا علاقة لها بكل ما يحدث

[1] محمد مظلوم، المختارات عبد الوهّاب البيّاتي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، (ط1)، 1998، ص26.

هناك، هكذا كانت

وذات يوم قبل عام 1969

خرجت بأغنامها، على مقربة من

القاعدة الأمريكية، غير أنها لم تعد

قد، فقد مزقت جسدها الصغير

قنابل، قوات الاحتلال الاتي كانت

تقوم بإحدى مناوراتها الحربية

معيتقة لم تكن لها

قضية

أنها هي قضية[1]

الشاعر في قصيدته يلتزم بقضية شعبه، ويصور جبروت الاستعمار وطغيانه، واستخدم أسلوب القصة، فكادت أن تنزل إلى مستوى النثر، إلا أن المصور كانت موحية، وموسيقى القصيدة كانت هادئة، هامسة، ما جعلها متكاملة أضفت عمقاً، لأن الشاعر أبرز بوضوح رؤيته وموقفه بالتزامه بقضيته.

وكخلاصة، الاتجاه الواقعي في شعرنا العربي الحديث امتاز بالالتزام بقضايا المجتمع، والشعب والأراضي المحتلة والدفاع عنها، يحدوهم في ذلك إيمان مطلق بعدالة قضية الإنسان العربي، فكانت

[1] محمد الفيتوري، الديوان، مج2، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1979، ص 486.

أشعارهم تصدر عن رؤية واضحة بعيدة الذاتية، كما أنها صادقة فانطبع بمسحة رومانسية، وهذا ما جعل الحزن في شعرهم يظهر بارداً.

ثانياً: بواعث الحزن في الشعر الحديث

1-الموقف الاجتماعي:

إنّ أهمية الشعر تبرز من خلال استيعابه لقضايا من مجتمع الشاعر الواقعية، فهو إذا انصرف وراء ذاتيته عُدَّ ذلك الالتفات عن قضايا مجتمعه انحرافاً وأنانية (وهذا ما ترفضه الواقعية)، وهكذا فالالتزام يتطلب من الشاعر أن يقف أمام مسؤولياته الاجتماعية تجاه مجتمعه، فالشاعر هو ابن مجتمع وبيئته قبل أن يكون مالكاً لأسباب الإبداع، وخير من يمثل الموقف الاجتماعي نجد شعراء المقاومة، وذلك بالتزامهم بقضيتهم في إنتاجهم الإبداعي، بعد وعيهم لدور الكلمة في النضال.

الواقع الفلسطيني فرض نفسه على تجربة شعراء المقاومة الشعرية فلم يتجاهلوا القضية التي يتصلون بها، فاهتمامهم جاء نابعاً من وعيهم الثوري وفهمهم لدور الكلمة الشعرية، يقول محمود درويش:

قصائدنا، بلا لون

بلا طعم... بلا صوت

إذا لم تحمل المصباح من بيت إلى بيت[1].

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، دار الآداب، بيروت، (د.ط)، 1970، ص

وهكذا ولد إيقاع مأساوي صارخ وحاد في وجدان الشعراء واتجهت أشعارهم داخل إطار من الواقعية الثورية إلى حنين حزين وإحساس مأساوي سلبي عند "فدوى طوقان" التي تحدثت عن الغربة والحنين، من خلال إحساس رومانسي بالتوجع:

إني من الأرض التي تمزقت

إني من القوم الذين

من الجذور اقتلعوا، من الجذور

وأصبحوا على مدارح الرياح

مبعثرين هاهنا وهاهنا

لا ينتمون

إلى وطن[1].

في حين أن محمود درويش عمد إلى تقديم مذكرات شعرية في إطار حزين:

سجل

أنا عربي

أنا اسم بلا لقب

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

[1] فدوى طوقان، أمام الباب المغلق، دار الآداب، ط1، بيروت،1967، ص

وأرضاً كنت أفلحها[1].

فأصبحت هويته كعربي فقد كل شيء في أرضه.

استطاع محمود درويش أن يسجل إحساسه المأساوي، فأبروه كوثيقة إنسانية تفيض ألماً وحسرةً وتوجعاً:

بطاقة التشريد في قبضتي

زيتونة سوداء

وهذا الوطن

مقصلة أعبد سكينها

رأيتكم:

وكالة الغوث لا

تسأل عن تاريخ موتي، ولا

تغير الغابة زيتونها

لا تسقط الأشهر تشرينها[2].

الشاعر في هذه القصيدة يصور لنا إحساسه بالمأساة، فهو يريد أن يعيش على أرضه، وأن يكسب حقه في ممارسة العيش في وطنه.

أما سميح القاسم فإنه صوّر لنا الصمود والمقاومة لشعبه في قصيدة خطاب في سوق البطالة:

[1] محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، ص

[2] محمود درويش، حبيبتي تنهض من نومها، دار العودة، بيروت، 1970، ص 9.

ربما أفقد –ما شئت– معاشي

ربما أعرض للبيع ثيابي وفراشي

ربما تسلبني آخر شبر من تراب

ربما تحرق أشعاري وكتبي

ربما تطعم لحمي للكلاب

يا عدو الشمس.. لكن.. لن أساوم..

إلى آخر نبض في عروقي.. سأقاوم!!..[1]

كانت أشعار "فدوى طوقان" ومحمود درويش بمثابة المسجل لأزمة الإنسان العربي اللاجئ، فكانت أشعار محمود درويش أقل صراخاً ولكنّها أكثر تأملا، حيث جعل المأساة داخل إطارها الإنساني، أما سميح القاسم فإنه تخلص من الصيغة الوثائقية التسجيلية في أشعارهم، فتناولوا الواقع المحدد فرديو البشر[2].

وهكذا نستنتج أن الموقف الاجتماعي كان باعثاً رئيساً في مظاهر الحزن، فهو يبدأ من مجرد انفعالات حماسية ثائرة إلى أن يصل إلى تحقيق موقف فكري متأصل.

2–الموقف الذاتي:

إن النزعة الحزينة في شعرنا المعاصر ليست إلا نوعاً من التأثر بأحزان الشاعر الأوروبي الحديث الذي عاين طغيان الحضارة المادية على الروح الغربي بخاصة في القرن العشرين، ولا يمكننا في الحقيقة

[1] سميح القاسم، الديوان، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1973، ص 447.

[2] ينظر، السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1984، ص 238.

أن ننكر التأثر المباشر أو غير لشعر "إليوت" واستجابة شاعرنا المعاصر لما هو وافد من الغرب كان صادراً عن موقف ذاتي الذي دافعه للحزن بشكل مباشر كونه تعبيراً عن الذات أكثر من كونه تعبيراً عن الواقع، ومن الذين أخذوا من الحزن همّا حياتياً سيطر على تجربتهم الشعرية نجد نازك الملائكة التي وحين سُئِلت عن روح حزنها وكآبتها أجابت قائلة: "أنني كنت إلى سنوات خلت أتخذ الكآبة موقفاً إزاء الحياة، وكنت أصدر في هذا عن عقيدة لم أعد أؤمن بها، مضمونها أن الحزن أجمل وأنبل من الفرح"، تقول:

يا ضفاف النسيان يا ليت هذا الموج

يطغى على الوجود الحزين

يغسل الإثم والدموع ويأسر

كل جرح في قلبه المطعون

ألم الموت يا ضفاف قوي

وشفاء الممات أقوى وأقسى[1]

وتقول في قصيدتها: "يحكى أن حفارين"[2]:

طالما حفرا في التراب

حفرا في الضباب

ربما حفرا في شحوب الخريف

[1] نازك الملائكة، الديوان، مج1، دار العودة، بيروت، (د،ط)، 1997، ص 189.

[2] نقلا عن، الشعر العربي المعاصر، لعز الدّين اسماعيل، ص 359.

أو عبوس الشتاء المخيف

طالما شوهدا يحفران

يحفران، يظلان في لهفة يحفران

وهما الآن فوق الثرى ميتان

فالشاعرة هنا تصور لنا مأساة هذا الوجود، فالكآبة الشفيفة التي تسري في مشاهدة المساء والخريف يوحي بها الضباب والشتاء، وحتى الموت والقبور.

ويحكي لنا صلاح عبد الصبور في قصيدته "رحلة في الليل"

إليكِ يا صديقتي أغنيةً صغيرهْ

عن طائرٍ صغيرْ

في عشه واحدهُ الزَغيبْ

وإلفُهُ الحبيب

ذات مساء، حطَّ من عالي السماءِ أجدلٌ منهومْ

ليشربَ الدماء

وحار طائري الصغيرُ برهةً، ثم انتفض...

معذرةً، صديقتي... حكايتي حزينة الختامْ

لأنني حزين ...[1]

[1] صلاح عبد الصبور، الديوان، دار العودة، بيروت، ط1، 1972، ص 9.

لم تكن هذه القصة إلاّ "المعادل الموضوعي" للذات، فالشاعر نفسه متورط في نفس الموقف، ثم يقول متحدثا عن نفسه:

الطارقُ المجهول، يا صديقتي مُلَثَّمُ شرِّيرْ

عيناه، خنجران مَسْقيان بالسموم

وفي لقائِنا الأخير يا صديقتي وعدتِني بنزهةٍ عن الجبل

أريدُ أن أعيشَ كي أشمَّ نفحةَ الجبل

لكن هذا الطارق الشرِّيرَ فوق بابِيَ الصغيرْ

وموعِدي المصيرُ... والمصيرُ هوَّة تروّع الظنون.

شبه الشاعر نفسه بالطائر الذي جرّه المصير إلى المحتوم، فمن وجهة نظره هكذا ينعكس الوجود بفظاعته على الذات، وهو نفس مصير "زهران":

كان زهران صديقاً للحياه

مات زهرانُ وعيناه حياه[1]

والذات قد تنطلق صارخة في الكون التعيس الذي تمثل في الحياة أكذوبة عريضة، عدا الموت الذي يمثل الحقيقة الوحيدة:

تعالى الله، هذا الكونُ موبوءٌ، ولا برْدُ

ولو ينصفنا الرحمنُ عَجّلَ نحونا الموتْ

[1] المرجع السابق، ص 10، 22.

تعالى الله، هذا الكونُ، لا يصلحهُ شيءٌ

فأين الموتُ، أين الموتُ، أينَ الموتْ[1]

ومن ثم يعلن الشاعر تسليمه التام، ورضوخه للحقيقة المرة، ويطلب الجنون حتى يتم التعادل بين ذاته وبين هذا الكون المجنون.

يا هذا المفتون البسام الداعي للبسمات

نبئني ماذا أفعل

هل أغمس عيني في قمر الليل

أم أبكي حين يجب الليل وأغفو دمعي في هدبي

أم أضحك في مرآتي وحدي

إن كنت حكيماً نبئني كيف أجن[2].

كانت هذه آخر صرخة للذات توجهها الشاعر إلى منطق الوجود رغم ذلك إلّا أنه يظل الشعور بغربة الذات وضياع الإنسان في خضم هذا الكون أقوى دليل على حيوية الذات.

[1] صلاح عبد الصبور، أحلام الفارس القديم، ص 267.

[2] نقلا عن، الشعر العربي المعاصر، لعز الدين اسماعيل، (قصيدة قد سلّمت)، لم تُنشَر بعد، ص 366.

ثالثاً: تجليات الحزن في الشعر الحديث

1-الذّات عند الشابّي:

إن مهمة الشعر تنبع من كونه تعبيراً عن العواطف والمشاعر، فكان هذا منطلق الشابي في حديثه عن ذاته، حزنه، آلامه وغربته، فكان حزنه فطرياً، فقد تجسّد لديه الحزن في الذات[1].

فتتراءى لنا القدرة الفنية لدى الأديب في تفهّمه لأعماق ذاته، وتصوير ما يجول بهذه الذات من الشدة والرخاء، ذلك أن الشعر "فيض الحياة في أيقظ ساعاتها بنوازع الفكر والشعور، كما أن السحابة العابرة قد تسيل السيول، وقد تسكب القطرات، كذلك نفس الشاعر"[2]، وهكذا كان الشابي يبكي جراحات حاضرة، وغضارة أيام شباب، يستعرض لنا مشاهد من حياته في لوحة منسجمة مع الطبيعة:

أَنَا في دَرْبِ الحَيَاةِ الغَامِضَهْ

تَائِهٌ، حَيْرَانْ

بَيْنَمَا أُبْصِرُ في وَجْهِ الحَيَاةْ

ظُلْمَةَ الأَحْزَانِ فِي ظِلِّ الأَلَمِ

إذْ أرَى –فِي جَفْنِهَا نُوراً، بَدِيعْ

بَاسِماً، فَتَّانْ

[1] ضيف الله هلال العتيبي، مظاهر الحزن في شعر الشابي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 1992، ص 154.

[2] أبي القاسم الشابي، ديوانه ورسائله، دار الكتاب –بيروت، (ط2)، 1994، ص 270.

هَا أَنَا أَسْمَعُ فِي قَلْبِ الحَيَاةْ

صَيْحَةَ الآلامْ

مُرَّةً تَنْسَابُ، مِنْ قَلْبٍ حَطِيمْ

مَلأَ الحُزْنُ أقَاصِيهِ دُمُوعْ

هَا أَنَا أَسْمَعُ أَصْوَاتَ السُّرُورْ

كَضَّتِ الأَيَّامْ[1].

وقد أرسل الشابي تجارب صادقة، تظهر قوة الشعر، فكان معجمه ذو ألفاظ عاطفية، فتلاءمت موسيقاه مع حزنه وكآبته، فالشاعر الوجداني شاعر صادق، وشعره تعبير عما يجول في نفس قائله، وفي هذا يقول الشابي:

لَيــت لي أَنْ أعــيش في هــذه الدّنيا سَعيــداً بِـوَحْــدتي وانـفـرادي

أَصرِفُ العُمْرَ في الجبال، وفي الغابات بَــين الصّــنــوبــرِ المــيَّادِ

ليسَ لي من شواغلِ العيش ما يصرف نَــفْــسي عَـنِ استماع فؤادي

لا أُغــنِّي نــفــسي بِأحْــزَانِ شــعــبي فَهْوَ حيٌّ يعيش عيشَ الجمادِ! [2]

في هذا المقطع نحس وكأن الشاعر يسرد رنّات الحزن المتشائمة، ما يؤدي إلى نوع من العزلة الروحية والاستغراق في التفكير الذاتي المنطوي، وقد رأى "ضيف هلال العتيبي" بأن هذه المقطوعة

[1] المرجع السابق، ص 67، 68.

[2] أبو القاسم الشابي، ديوانه ورسائله، ص 87.

تتربع على نزعتين، تتمثل الأولى في حديث الشاعر عن نفسه وجروح الوحدة، بينما تتمثل الثانية في حديثه عن الطبيعة وعن شعبه[1].

يمثل الشعر الوجداني رافداً من روافد الشعر العربي، فنجد الشاعر ينغمس في ذاته، فيكون أسير آهاتها، ولا يستطيع الفكاك من مشاعره الكئيبة:

إنّ الوُجودَ الرَّحْبَ، والغَاباتِ، والأفُقَ الخَضيبْ

لمْ تَخْبُ أشواقُ الحياةِ بِهَا، فَغَادَرَها القُطُوبْ

أمّا أنا فَفَقَدْتُهَا، واللَّيلُ مُرْبَدُّ رَهِيبْ.

لغة الشاعر في هذه الأبيات ترسم صورة سوداء قاتمة في نغماتها، فكانت متلازمة تلازماً وثيقاً مع تجربة الشاعر الوجدانية، ويقول:

سَأمٌ هذه الحياةُ معُادٌ وصباحٌ يكرّ في أثرِ ليلِ[2].

إن قلب الشابي الجريح أخرج لنا شعراً يلوح بالصورة المثلى له، فيتمنى أن يكون ضوءً في ظلمة الحياة.

2-الاغتراب عند صلاح عبد الصبور:

الاغتراب هو من الظواهر الإنسانية التي نجدها في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وعلى الرغم من أنه من المفاهيم الفكرية الحديثة إلا أننا نجد أن جذوره تمتد إلى العصور القديمة وفي ديوان الشعر العربي كله كانت هناك تجارب في الاغتراب عن الأوطان والحنين إليها، فكانت أصيلة وصادقة.

[1] ضيف الله هلال العتيبي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، ص 155.

[2] أبو القاسم الشابي، ديوانه ورسائله، مرجع سابق، ص 134.

وفي شعرنا العربي المعاصر نجد تأثيراً غربياً خاصة ما كان موضوعه الاغتراب، بما أن "النزعة الحزينة في شعرنا المعاصر ليست إلا نوعاً من التأثير بأحزان الشاعر الأوروبي الحديث"[1].

صلاح عبد الصبور شاعر متأزم وجودياً يعاني من الوحدة، فانعكس ذلك في شعره، حتى وإن كانت نغمة الحزن مسيطرة على شعره، إلا أننا نجد أن شعوره بالغربة والضياع يمثل موقفا من تجربته الحزينة، وحزنه ليس مقصور على الإحساس بالضياع فقط، بل تعداه إلى التوتر القائم بين الذات والوجود، بما أن "محور الشعور بالغربة والضياع هو في الحقيقة تفريع عن المحور الأساسي العام، محور الذات والوجود، أو هما يتوازيان على مستويين مختلفين"[2].

حين نقرأ قصيدة "رحلة في الليل" نلاحظ إحساس الشاعر بالغربة والضياع، فالذات حين تصطدم بالوجود تنتج موقفاً ذاتياً فيجبر الشاعر على الإخلاص له[3]، وما تتسم به القصيدة من حزن نابع عن غربته وضياعه في دهاليز هذا الوجود.

الليلُ يا صديقتي يَنفُضُني بلا ضمير

ويطلقُ الظنون في فراشِي الصغير

ويثقلُ الفؤادَ بالسوادْ

ورحلةِ الضياعِ في بحر الحِداد[4]

[1] عز الدّين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 154.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 156، 157.

[3] صلاح عبد الصبور، الديوان، دار العودة، بيروت، مج3، ط 1988، ص 7.

[4] صلاح عبد الصبور، الديوان، دار العودة، بيروت، ط 1972، ص 7.

يفتتح الشاعر قصيدته بالليل الذي ينفضه، فكان شاملاً وتحس فيه بعذاب الحب أو وحشة المرض، ثم يدخل بنا إلى ليلة الكبير:

فحين يقبِلُ المساءُ ويقفرُ الطريقُ، والظلامُ محنةُ الغريب

يهب ثُلَّةُ الرفاقِ، فُضَّ مجلسُ السمرْ

"إلى اللقاءِ" –وافترقنا– "نلتقي مساءَ غدْ"

"الرخُ ماتَ– فاحترس– الشاهُ ماتْ"

"لم يُنجهِ التدبيرُ"، "أني لاعبٌ خطيرْ"

"إلى اللقاءِ– وافترقنا—"نلتقي مساء غد"[1]

الليل هنا أعمق من الظلمة، فليله لا نهار له، وهو يرادف الإحساس بالنهاية والشطرنج ما هي إلا لعبة الحياة والموت بالنسبة للشاعر.

وأما في قصيدته "الظل والصليب"، فإن عبد الصّبور عبر عن غربة إنسان هذا العصر فتبطل الأشياء، وتصبح بلا قيمة، حتى المتعة الحسية لم تعط للإنسان الحزين أدنى إحساس بالقيمة:

هذا زمانُ السَأمْ

نفخُ الأراجيل سَأمْ

دبيبُ فخذَا امرَأةٍ ما بَيْنَ إليتيْ رَجُلْ...

سَأمْ

[1] المرجع السابق، ص 8.

لا عمقَ للألَمْ

لأنه كالزيتِ فوقَ صفحةِ السَأمْ[1].

الشاعر يدين واقعة، فهو يعيش فيه من دون هدف، فكل شيء أصبح بلا قيمة، واقعه يرمي بضلاله على نفسه، ما يجعلها كئيبة تعتصر حزناً جرّاء إحساسه بالغربة والضياع، كما أصبح السأم سجناً لإنسان هذا العصر، فالرغبة في الحياة يدفع إليها السأم "فالحياة والموت ليسا إلّا وجهتين لتجربة واحدة هي تجربة السأم، السأم هو الحقيقة في ضوئه نستطيع أن ندرك معنى الحياة والموت على سواء".

لأن السأم هو المقدمة التمهيدية لمصيرنا البشع، وأحد عناصر موتنا، وبذلك تكون المقدمة أكثر بشاعة من النتيجة.

ثم ما لبث شاعرنا حتى أضفى على حزنه أبعاداً ميتافيزيقية، فحاول أن يجعل من حزنه موقفاً وجودياً، نتيجة ثقل الواقع وإحساسه بالعجز والإحباط في مواجهته، فهو رآه وجودا ظلال يحياه الإنسان بلا شيء، بلا آماد، بلا أبعاد.

أنا الذي أحيا بلا أبعادْ

أنا الذي أحيا بلا آمادْ

أنا الذي أحيا بلا أمجادْ

أنا الذي أحيا بلا ظل... بلا صليبْ

[1] صلاح عبد الصبور، قصيدة الظل والصليب، ديوان أقول لكم، ص 148.

ومَنْ يَعِشْ بِظِلِّهِ يمشي إلى الصليبِ، في نهاية،

الطَرِيقْ[1].

فالذي يعيش بظله هو في نهاية الطريق متجه إلى الصليب، فهو يعيش منعزل في الوجود وغارق في جحر نفسه دون أن يدرك ذاته في مجتمعه.

ثم نجد أن الشاعر فكر في قصيدة "أنا شيد غرام" في قبول الممكنات من خلال الإحساس بالحب:

وكل شيء يا حبيبتي يهون

ما دمت لي... إلى الأبد

وفي قصيدة "مذكرات رجل مجهول" توضح لنا الإحساس المثقل بالحزن، فهو حتى عندما يفيق في صباح يوم جديد يشعر بالغربة عن نفسه وعب الأشياء:

أصحو أحياناً لا أدري لي اسماً

أو وطناً أو أهلاً

فإحساسه هذا جد خاص، فهو ينبع من موقف غربة حياتي وليس وجودي، فقد تحول كل شيء إلى مرارة محزنة حطّمت الإحساس بالرضا والقبول، كما أنها فتحت المجل أما مباحث التمرد والغربة، وأصبحت الأيام سجناً أبدياً للإنسان والأرض وجوداً ملعوناً بما فيه من ذوات:

الأرض بَغِيٌّ طامث

[1] المرجع السابق، ص 150.

دمها يجمد في فخذيها السوداوين

لا يُطْهِرُها حَمْلٌ أو غُسْل

من ضاجعها ملعون[1].

وهكذا يبرز الموت هنا عبد الصبور كنتيجة ضرورية، وليس كمجرد اقتراح حل كما في مرحلته الأولى، فالوجود في رؤياه هو خطيئة كبرى لا سبيل إلى التخلي منها.

إن القارئ لديوان الشاعر صلاح عبد الصبور يلحظ أنه أمام شاعر منطلق، غير مقيد، إلّا أن رؤيته محدودة، فهو يصور همومه اليومية ومنغصاته الحياتية، فحتى وإن امتلأ شعره بمشاعر الألم والحزن إلّا أنّ حزنه يبدو كإحساس يومي اعتادنا عليه لا كإحساس فكري جامد.

3-الموت عند بدر شاكر السيّاب:

لما كان الشابي قد سكب بين أيدينا صرخات ذاته في أشعاره نجد فيها تعزية وسلوة لأنفسنا، وتجعل صلاح عبد الصبور من قصائد اغترابه شعلة بها في ظلمة وحدتنا ووردة نقتطفها كلما حان موسم الربيع، فإنّ بدر شاكر السياب قد اختار الموت ليكون مصوِّراً لكمّ هائل من المشاعر الحزينة، فكانت قصائده بإيقاعات الحزن التي تجس نبض نفسه الكليمة:

ماذا جنيت من الزمان سوى الكآبة والنحول

أو أرقب الليل الطويل يذوب في الصبح الأفول

وأشيع البدر السؤوم يغيب ما بين النخيل

[1] صلاح عبد الصبور، ديوان تأملات زمن جريح، قصيدة مذكرات رجل مجهول، ص 294، 297.

لا مأمل لي بالكثير ولا رجاء بالقليل

وأعد أيامي لأسلمها إلى الهم الثقيل[1].

والظاهر أن الموت أصبح ذو قيمة فنية ونفسية مرتبطة بالشاعر، فنراه يعبر عن موقفه عن إنسان مطارد من تصوراته نتيجة بحثه عن الذات وعلاقتها بالكون، وكيف تمخضت هذه التصورات من الإحساس المقلق بالموت غير المحتمل في قوله:

وا حسرتا! أكذا أموت كما يجف ندى الصباح

ما كاد يلمع بين أفواف الزنابق والأقاحي[2]

فإحساسه بوطأة الألم دفعه إلى تذكر الموت المخيف صاحب الديناميس ومخاطبته ونعته بالقاسي:

يا موت.. يا رب المخاوف، والديناميس الضريرة

اليوم تأتي! من دعاك! ومن أرادك أن تزوره؟

أنا ما دعوتك أيها القاسي فتحرمني هواها

دعني أعيش على ابتسامتها، وإن كانت قصيرة[3]

اندفع السياب في صراع رهيب بين الموت وبين الرغبة في الحياة، ونراه يحاول الالتصاق بالحياة والاندماج فيها.

[1] القصيدة غير مثبتة في دواوينه، نقلا عن لغة الشعر العربي، لسعيد الورقي، ص 273.

[2] بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الحرية، بغداد، ط3، مج1، 2000، ص 54.

[3] بدر شاكر السياب، رئة تتمزّق، ديوان، أزهار وأساطير، ص 55.

ومن تعبير الشاعر الملتزم، اتجه في محاولته للالتصاق بالحياة إلى فهم حسي وصل إلى بوهيمية اللحظة:

والحلمتان: أشد فوقهما بصدري في اشتهاء

حتى أحسهما بأضلاعي وأعتصر الدماء

باللحم والدم والحنايا، منها –لا باليدين

حتى تغيبا فيه– في صدري– إلى غير انتهاء

حتى تمصا من دمائي– وتلفظاني في ارتخاء[1]

هذا الألم الذي نلمسه في المقطوعة ما هو إلا نتيجة لخوفه من الموت، فقد كان يراه شبحاً مخيفاً لا يبقي على شيء من آمال الإنسانية[2].

كان السياب يرى حياته كالشمعة الذائبة أمامه، وقد كتب رسالة إلى صديقه حول تسمية ديوانه (أزهار ذابلة) الذي صدر 1950 (ما أجهل من لامني على أن سميت مجموعة أشعاري بالأزهار الذابلة، ليت كان معي ليرى أنّ كل الكون، الأرض والسماء والتراب والماء، والصخر والهواء أزهار ذابلة في عيني الشاحبتين ونفسي الهامدة الخامدة)، فيقول في قصيدة مرحى غيلان:

"بابا... بابا... "

ينساب صوتُك في الظلام، إليَّ، كالمطر الغضيرِ،

ينساب من خَلَل النُعاس وأنت ترقِد في السريرِ

[1] حفار القبور، أنشودة المطر، ص 293.

2 ينظر، خليفة التليسي، الشابي وجبران، ص 91.

من أيَّ رؤيا جاء؟ أيَّ سماوةٍ؟ أيَّ انطلاقِ؟

... وأظلُّ أسبحُ في رشاشٍ منه، أسبحُ في عَبير

فكأنَّ أوديةَ العراقِ

فتحتْ نوافذَ من رؤاكَ على سهادي: كلُّ وَادِ

وهبته عشتارُ الأزاهرَ والثمار[1].

الشاعر لا يريد الإفصاح حن آلامه، فيبرز المضامين الوجدانية المتشائمة بمعجم حزين، فجمع بين الأسطورة والواقع الأليم الذي يعيشه، محاولاً ترويض نفسه على الموت باعتباره هزيمة ونهاية لا مفر منها.

ويقول واصفاً الموت:

سهرت يرنّ صوت الموت في أذني كالزلزال

تهدم حائط الأجيال

وكاد يغور إذ لمسته كفّي، ألف نوحٍ زال...

سهرت لأنني أدري

بأنني لن أقبّل ذات يوم وجنة الفجر

سيُقْبل مطلقاً في كل عشَّ نغمةً وجناح

[1] مرحى غيلان، أنشودة المطر، ص 184.

وسوف أكون في قبري[1]

السياب في مرحلته الأخيرة عاين الموت معاينة ذاتية وأحسّ به قريباً منه، فصارت علاقته تسليم وإذعان، فحاول إقناع ذاته بقبول الموت كنهاية لغربته:

سآخذ دربي في الوهم

وأسير فتلقاني أمي[2]

هو الموت جاء

فهيهات، هيهات، ما لي فرار[3]

ولكنني مت... وا حسرتاه[4].

وبعد تسليمه للموت، أخذت مباحثه ورؤياه شكلاً آخر، وهو التحدي الهادئ والتساؤل الساخر:

أليس يكفي أيُّها الإلهْ

أنَّ الغناء غايةُ الحياةَ

فتصبغ الحياةَ بالقتامْ؟

تحيلني بِلا ردي، حُطام:

سفينةً كسيرةً تطفو على المياه؟

[1] بدر شاكر السياب، المعبد الغريق، مج1، ص 134.

[2] في الليل، شناشيل ابنة الجلبي، ص 319.

[3] في المستشفى، المرجع السابق، ص 349.

[4] حميد، شناشيل ابنة الجلبي، ص 359.

هات الردى، أريد أن أنام

بين قبور أهليَ المبعثره

وراء ليل المقبره[1]

لقد كان السياب شاعراً "يعبّر عن مأساته الشخصية، ذلك الذي كتبه عندما كان يصارع المرض والموت المحيق"، فزاوج بين الألم والموسيقى الحزينة في قصيدته، فكانت دواوينه تعبيراً عن حزنه فجسد آلامه الروحية والجسدية في قصيدة مرحى غيلان، فكانت مشاعره لموقف ذي ملامح ميتافيزيقية في إحساسه بالموت.

[1] في غابة الظلام، شناشيل ابنة الجلبي، ص 362.

الخاتمة

لقد كان الإبحار في أعماق الشعر العربي مشوارًا محفوفا بالصعوبات والعقبات لاسيما ما يتعلق بالوجدان الذي يُعدّ بحرا لا ساحل له، فكلما غاص الباحث في أعماقه وحاول كشف أغواره تجلّت له ، لآلئ رآها أنفس وأجمل بل وأجد بالاهتمام، غير أنّنا لم نتهاون أو نقصّر في استقصاء كلّ ما له علاقة بموضوع بحثنا، وهنا دعوة منّا لطلاّب العلم لمواصلة مسيرة البحث والاستكشاف، والتطلع لآفاق المعرفة و الغوص في أفكار هذا الشعر والاغتراف من معانيه، ولقد توصّلنا من خلال دراسة هذا الموضوع " تجليات الحزن في الشعر العربي بين القديم والحديث " لجملة من النتائج المتمثلة فيما يلي:

- لا يمكن نفي وجود الحزن في الشعر القديم.
- كان الشاعر القديم يبكي جراحات حاضرة، وغضارة أيام شبابه فهو يستعرض لنا مشاهد من حياته في لوحة منسجمة مع الطبيعة.
- كانت قصائد الشاعر شقفات من روحه، تجود بها قريحته من حين إلى آخر، فتحدّث عن شوقه إلى الأحبة والحنين إلى الأيام الخوالي والعهود السالفة، عهود المجد والسؤدد كما ورد عند أبو تمام.

وفي الشعر الحديث تمثلت تجليات الحزن في:

- ظهور الاتجاهات الأدبية التي تبنت هذه الظاهرة وأعطتها مكانة في الشعر.
- ومنه كان التأثير الغربي كبير على الشعر الحديث والمعاصر خاصة تأثرهم بالشاعرين "إليوت" و"جون كيتس".

- الشاعر كان رومانسيا واقعيا في شعره، فراح يعبر عن آمال وآلام مجتمعه الذي يعيش فيه، فكان ذلك النغم الذي يحس بعواطف الآخرين، فيتبصر الحياة من خلال ذاته وحسه، فكان أدبهم خالداً في الأجيال.
- فهو بذلك ينفس عما بداخلنا بما يجر على لسانه من أبيات ما يشعرنا بشيء من التسرية من أنفسنا والراحة والمتعة الحقيقية على حد تعبير شوقي ضيف.
- ومن خلال البعد الفني تمكّنّا من التعرّف على خصائص لغة الشاعر المعاصر الذي لم تبتعد كثيرا عن الخصائص اللغوية للشاعر العربي القديم، بالرغم من الحس الوجداني المرهف والهامس في نفس الوقت، فكانت لغة شاعرنا المعاصر متراوحة بين المستوى السطحي الذي تستخدم فيه الألفاظ بمعناها المعجمي، وقد كان ملاذ لغته الطبيعية الهادئة بعذوبتها ورقتها.

تلك مجمل النتائج والملاحظات التي استنبطناها من هذا البحث، ولسنا ندعي أننا منحنا الموضوع حقه الكامل وألممنا بجميع حيثياته، بل ما بحثنا هذا إلا لفتة متواضعة ومختصرة لظاهرة لم ننصفها ونقدّرها حق قدرها.

وفي الختام نؤكد بأننا استمتعنا طيلة إنجاز البحث، حيث أدركنا قيمة كل ما كتبناه، ويبقى أملنا أن تتاح لنا الفرصة من جديد لنغوص في بحور الأدب التي تفيض بمعارفها وإحساساتها وخواطرها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

المعاجم

1. ابن منظور، لسان العرب، ج10، تحقيق: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.ت) .
2. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التراث، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت2005.
3. محمد محي الدين عبد الحميد و محمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة (د.ط)، القاهرة(د.ت).

الدواوين

4. ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي، جمهرة اشعار العرب، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان، 2003.
5. احمد امين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية،(د.ت)، بيروت،2001.
6. البحتري ، الديوان، ج1،دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ط)، 2000.
7. ابو تمام، الديوان، مج3، تح: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
8. جميل بثينة، الديوان، دار صادر، بيروت،(د.ط) ، (د.ت).
9. ابن زيدون، الديوان، دار صادر، بيروت، ط1، 1998.

10. الشريف الرضى، الديوان، مج 1، دار الجيل، بيروت، ط1995،1.

11. طرفة بن العبد، الديوان، دار المعرفة، ط1،بيروت2003.

12. عباس ابراهيم، شرح ديوان الخنساء، دار الفكر، بيروت،ط1،1994.

13. علي بن الجهم، الديوان، تح: خليل مردم، دمشق،(د.ط)،1949.

14. ابن الرومي، الديوان، مج1، شرح احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط3، 2002.

15. ابو فراس الحمداني، الديوان، شرح علي بو ملحم، دار الهلال، بيروت،ط1، 1995.

16. قيس بن الملوح، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1999.

17. المتنبي، الديوان، دار الجيل، بيروت،(د.ط)،2005.

الأعمال الشعرية

1. ابراهيم ناجي، الديوان ، دار العودة، بيروت، (د.ط) ،1980.

2. بدر شاكر السياب، الاعمال الشعرية الكاملة، مج1،دار الحرية، بغداد، ط3، ، 2000، ويشمل دواوين (ازهار واساطير ،انشودة المطر، المعبد الغريق، شنانيل ابنة الجلبي).

3. جبران خليل جبران ، الديوان ، دار الامم ، بيروت،(د.ط)،(د.ت).

4. سميح القاسم ، الديوان ،دار العودة ،بيروت ،(د.ط)،1973.

5. صلاح عبد الصبور ،الديوان ، مج3،دار العودة ،بيروت، ط 1988.

ـ الـديوان، دار العـودة، بـيروت، ط 1972،و بشـمل دواويـن (النـاس في بـلادي، أقـول لكـم، تأملات زمن جريح)

6. علي محمود طه، ديوان الملّاح التائه، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1972.

7. فدوى طوقان، أمام الباب المغلق، دار الآداب، ط1، بيروت، 1967.

8. أبو القاسم الشابي، ديوانه ورسائله، دار الكتاب، بيروت، ط2، 1994.

9. محمد الفيتوري، الديوان، مج2، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1979.

10. محمود درويش، حبيبتي تنهض من نومها، دار العودة، بيروت، 1970.

- عاشق من فلسطين، دار الآداب بيروت، ط 1970.

11. نازك الملائكة، الديوان، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1997، مج1.

المراجع

1. أشـرف علـي دعـدور، الغربـة في الشـعر الأندلسـي، دار نهضـة الشـرق، القـاهرة، ط1، 2002م.

2. حسن فتح الباب، رؤية جديدة لشعرنا القديم، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1984.

3. خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

4. دراسات في الشعر العربي المعاصر، شوقي ضيف، دار المعارف، ط6، مصر، (د.ت).

5. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1984.

6. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، (د.ت)، (د.م).

7. قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط13، 2004.

8. محمد زطي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، الهيئة المصرية العمة، ط2، الإسكندرية، 1974.

9. محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2001م.

10. محمد مظلوم، المختارات عبد الوهاب البياتي، دار الكنوز، بيروت، ط1، 1998.

11. محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، ح2، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1957.

12. محمود تيمور، اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، المطبعة النموذجية، (د.ت)، (د.م).

13. مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، ج1، الدار النموذجية، بيروت، ط1، 2001.

14. واصف أبو الشباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، (د.ط).

المجلات

1. ضيف الله هلال العتيبي، مظاهر الحزن عند الشابي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 1992.

2. عبد الرحمن اسماعيل، العنوان في القصيدة العربية، مجلة جامعة الملك سعود، مج8، الآداب، (1)، 1961.

الفهرس

الإهداء

الشكر والعرفان

مقدمة.....أ

الفصل الأول: تجليات الحزن في الشعر العربي القديم

تمهيد.....5

أولاً: مفهوم الحزن لغة واصطلاحاً.....6

ثانياً: بواعث الحزن في الشعر القديم.....9

ثالثاً: مظاهر وأشكال الحزن في الشعر القديم.....16

الفصل الثاني: تجليات الحزن في الشعر العربي الحديث

تمهيد.....33

أولاً: الاتجاهات الأدبية للحزن.....34

ثانياً: بواعث الحزن في الشعر الحديث.....40

ثالثاً: مظاهر الحزن في الشعر الحديث.....48

الخاتمة.....د

قائمة المصادر والمراجع.....65

الفهرس.....71

تم بحمد الله